

## مناخ 17 أيار 1983: عندما جاهر لبنان بصداقته مع العدو



في ذكرى كسر شوكة العدو في مواجهة عدوان تموز، تعود الذكرى إلى جانب آخر من الثقافة السياسية في لبنان (هيلم الموسوي)

الشعب اللبناني بـ«القرار» - الذي لم يفصح عنه - وأرسل عبره شتائم نابية وبذيئة إلى رئيس الحكومة آنذاك، شفيق الوزان (كما أخبرني حجازي).

وما إن أطل الاجتياح المشؤوم وما إن تسلمت ميليشيات اليمين المتحالفة مع العدو الإسرائيلي السلطة، حتى تغير الكثير من معالم الثقافة السياسية في لبنان. وباسر عرفات عرف كيف يحفظ معنويات مقاتليه وكيف يحفزهم أثناء حصار بيروت، فيما أعلن وليد جنبلاط أن الحركة الوطنية لم تعد موجودة بمجرد أن وصلت الكتائب إلى السلطة، لا بل إن جنبلاط طمان من يريد الاطمئنان أن «لا تفكير في أي شكل من أشكال التحالف في الوقت الحاضر» كإطار بديل عن الحركة الوطنية («النهار»، 6 تشرين الثاني، 1982). إن دور التعبئة من قبل القادة - حتى لو كانوا من طينة جنبلاط - يلعب دوراً محورياً في حفظ المعنويات وفي تثبيت الهمم: حدث فراغ في المناطق التي كانت تخضع لنفوذ المقاومة الفلسطينية واللبنانية، وانقسمت حركة أمل بين القيادة في بيروت (والتي كانت معادية للاحتلال الإسرائيلي) وبين بعض مسؤوليها المحليين في الجنوب الذين لم ينتفضوا بوجه الاحتلال. وحل الحركة الوطنية ترك كل مقاتلي ومناضلي الأحزاب عرضة للتفكيك من العدو الإسرائيلي وأعوانه في السلطة اللبنانية، خصوصاً في الجيش اللبناني. أما جورج حاوي فتنادى بنزع السلاح الفلسطيني كي لا «يوفر ذريعة لتبرير الاحتلال الإسرائيلي» («النهار»، 18 تشرين الثاني، 1980)، فيما طالب محسن إبراهيم بالترئيت قبل الحكم على سلطة أمين الجميل.

وتسابقت قيادات سياسية ولبنانية لدعم الاجتياح الإسرائيلي بطرق شتى. أبو اياد اتهم صائب سلام بمحاولة «تجبير العدوان الصهيوني» («النهار»، 8 تموز، 1982). وخرج أعوان إسرائيل في لبنان من جهورهم لهتاف للمحتل، وتظمت مسيرات شعبية (بحسب جريدة «النهار» في 7 أيلول، 1982) في المناطق الشرقية والبقاع الغربي وعاليه والشوف وجبيل لتنظيم «لقاء شكر وفرح مناسبة بدء ترحيل الفلسطينيين عن لبنان»، وألقى النائب (عن كتلة كامل الأسعد)، حميد دكروب كلمة «ترحيبية»، كما الشيخ فريد حمادة وسليم زراير وطوني مفرج (الإعلامي) وليلى سعادة وجوزيف توتنجي (صهر بشير) وخليل أسطة والشيخ غسان اللقيس (مفتي جبيل) وغيث خوري. ومحمد مهدي شمس الدين انتقد زيارات قادة المقاومة الفلسطينية إلى البقاع والشمال («النهار»، 11 أيلول، 1980)،

### الثقافة السياسية السائدة في لبنان كانت تعمل على إيقاع العدو الإسرائيلي

بدلاً من دعم فكرة مقاومة الاحتلال (وهو أفتى فيما بعد بجواز «المقاومة المدنية» - أي وسيلة قرع الطناجر الاحتجاجية، على طريقة النضال الدبلوماسي الذي انتهجه فؤاد السنيورة في تحرير مزارع شبعا وتلال كفرشوبا وقرية العجر). وبلغ الجنون حدّه في تلك الحقبة ان كميل شمعون وضع برنامجاً لحل مشكلة الشرق الأوسط ضمنه الحفاظ على نسبة عدد السكان من عرب وإسرائيليين إلى معادلة الثلث إلى ثلثين، كي يتسنى للصهاينة الحفاظ على الدولة اليهودية («صوت الأحرار»، 1 آب، 1982).

وعمل النظام السعودي، من خلال صائب سلام، على الترويج لبشير الجميل ومشروعه بين المسلمين (لكن المناطق ذات الأغلبية السنية كانت بصورة عامة أقل استعداداً للتقبل من المناطق ذات الأغلبية الشيعية، حيث راجت فيها

مفاهيم العنصرية الكتائبية المقبته ضد الفلسطينيين، وسارت تظاهرة في صور أثناء حرب المخيمات بقيادة داوود داود هتفت فيها الحشود: «لا إله إلا الله، والفلسطيني عدو الله» (راجع «النهار»، 29 أيار، 1985). صحيح أن وفداً من البسطة زار بكفيا للتعزيزية بشير الجميل، لكن قائد الوفد فاروق شهاب الدين، اختطف من منزله فيما بعد وقتل. وكانت عليا الصلح من الأصوات القليلة المجهرة بدعم بشير الجميل ومشروعه بين السنة وقالت: «إن الأمل التي عقدتها على الرئيس الشهيد الشيخ بشير الجميل باقية مع الرئيس الشيخ أمين الجميل» («العمل»، 17 أيار، 1983). وشدّ فاروق المقدم، قائد ميليشيا 24 تشرين عن الإجماع ضد بشير الجميل في طرابلس وزار قبر الأخير بعد اغتياله ودعم حكم أمين الجميل (فاجأ فاروق المقدم الكثيرين بعد اجتياح 1982 عندما تحول رافع شعارات اليسار الفلسطيني المتطرف في 1969 إلى مؤيد لحزب الكتائب اللبنانية، وتعرض منزله لاعتداء مما دفعه إلى الانتقال إلى المنطقة الشرقية في بيروت التي أوت مسلمين اعتنقوا أفكار الميليشيات اليمينية).

وأطل بشير الجميل من خلال مجلة «النهار العربي والدولي» في حلقتين (9 و 15 آب) للحديث عن مشروعه - أو مشروع راعيه الإسرائيلي. وفي هذه المقابلة حيث تجمّع كل كتاب المجلة للترحيب بالجميل، اعترض الشاعر طلال حيدر على قول «نحن المسيحيين» في خطاب الجميل واقترح بدلاً منها «نحن اللبنانيين» لأن القوات اللبنانية تضم مقاتلين شعبة، حسب زعم حيدر. أما نهاد المشنوق فقال لبشير: «أنا كموطن لبناني يهمني الاقتناع بثورتك، بأفكارك، وأن أسير معك لأساعدك، لأنك لا تستطيع ان تكون وحدك» - وقال المشنوق كلامه فيما كانت القوات اللبنانية تحكم الحصار على بيروت الغربية وتمنع عن سكانه ربطات الخبز، فيما كانت راجمات العدو تدك البيوت السكنية بالقنابل والصواريخ على مدار الساعة.

وكامل الأسعد الذي زعم في آخر سنواته أنه لم يصوت لاتفاقية 17 أيار، وقع على قانون الاتفاق وأرسله إلى القصر الجمهوري (راجع «النهار»، 23 حزيران، 1983). والشيخ عبد الأمير قبلان كان من الأصوات الداعمة لحكم أمين الجميل، حينما كان المفتي حسن خالد ينتقد تعديتات الجيش اللبناني على الأيمن في بيروت الغربية. قال قبلان إن أمين الجميل «غير متجه باتجاه سيئ»، وأضاف «أنا أحببت الفلسطينيين يوم

كانوا ثائرين من أجل حقهم، وأصبحت ذلهم عندما أقاموا دولة لهم ضمن الدولة اللبنانية» («الصباح»، 12 آب، 1983). لم يكن كلام الزعماء الشيعة التقليديين ورجال الدين التقليديين مختلفاً عن خطاب الكتائب يوماً. المفتي الجعفري الممتاز لم يتورّع عن تأييد مطالب العدو الإسرائيلي، فقال في خطبة بمناسبة عيد الفطر في 11 تموز، 1983 ما يلي، بعد أن أثنى على جهود حكم أمين الجميل في مفاوضات 17 أيار: «إن لنا حقاً في العيش بحرية وسلام، وقد يكون لجيراننا حق علينا في ألا نستعمل أراضينا منطلقاً لأعمال عدائية ضدّهم، سوف نحفظ لهم هذا الحق، فليحفظوا لنا حقنا عليهم» (11 تموز، 1983، «السفير»). كما عارض المفتي قبلان أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي وقال بالحرف: «إن العمل العسكري، من أي فريق كان في هذه المرحلة اللبنانية لا يمكن أن ينفع أحداً، ولا يستفيد منه أحد... علينا أن نحافظ على أرضنا ونبعد عنها كل إجرام وعمل عسكري، علينا أن نكف عن كل هذه الأعمال لنرحم أنفسنا ونرحم بعضنا بعضاً» (17، أيلول، 1983). والمفتي قبلان زار بصحبة الشيخ محمد مهدي شمس الدين بيار الجميل وفادي أفرام، قائد القوات اللبنانية في حينه. وعلق أفرام على اللقاء بالتنديد بـ«الأيدي الشيعية»، مضيقاً أنّ «الشبوعي يريد إحباط مخطط السلم الذي وُضع للبنان» («العمل»، 15 كانون الثاني، 1983). كما أن المفتي قبلان رفض أي انتقادات عربية للمفاوضات اللبنانية. الإسرائيلية وطالب أن «يعيرنا العرب سكوتهم» («النهار»، 28 كانون الثاني، 1983).

والطريف أن اسم رفيق الحريري لم يرد في الصحافة اللبنانية إلا في حقبة المفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية، وصفته كانت «مساعدة الوفد السعودي الأمير بندر بن سلطان». وكان الدور السعودي مكملاً للدور الأميركي لتسهيل تمرير اتفاقية 17 أيار عربياً. وكانت الإدارة الأميركية تشدد أنها متفقة مع الحكومة اللبنانية في طلبها لـ«دمج قوات سعد حداد في الجيش اللبناني» («النهار»، 16 شباط، 1983). وقرار الدمج هذا جاء بعد توالي حوادث جرائم الحرب التي كانت قوات حداد ترتكبها في أنحاء مختلفة من لبنان. وكانت أخبار المفاوضات اللبنانية - الإسرائيلية ترد في الصحف اللبنانية من دون علامات تعجب أو استنكار، بما فيها تلك الأخبار التي كان الناطقان باسم الوفد اللبناني (أمين معلوف وداود الصايغ) يصرحان